
كيف تكونين ناجحة ومحبوبة في
معاملة الوالدين
ميساء محمد عرعار
الرواد

رقم التصنيف : 265.31

المــؤلـــــف : عرعار، ميساء

عنوان الكتاب : كيف تكونين ناجحة في معاملة الوالدين

رقــم الإيداع : 2003/12/2666

الواصفـــات : / الآداب الإسلامية// الإسلام// الأسرة// الآباء

الطبعة الأولى

2004 م - 1424 هـ



الرواد للطباعة والنشر والتوزيع

Al Rowad for Publishing & Distributing

هاتف 4628455 فاكس 4628455 ص٠ب 7649 الرمز البريدي 11118

عمان- شارع السلط- مجمع الفحيص التجاري

e-mail:row_pub@yahoo.com



المقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

قال تعالى : **﴿وقضى ربك إلاّ تعبدوا إلاّ أيّاه وبالوالدين إحساناً﴾**.

إن للوالدين مقاماً يعجز الإنسان عن وصفه ، ومهما اجتهدنا في إحصاء فضلهما فإنّه يبقى قاصراً عن تصوير جلالهما وحقّهما على الأبناء ، وكيف لا يكون ذلك وهما سبب وجودهم ، وعماد حياتهم وركن البقاء لهم. هما اللذان بذلا كل ما أمكنهما على المستويين المادي والمعنوي لرعاية أبنائهما وتربيتهم ، وتحمّلا في سبيل ذلك أشد المتاعب والصعاب والإرهاق النفسي والجسدي وهذا البذل لا يمكن لشخص أن يعطيه بالمستوى الذي يعطيه الوالدان.

ولهذا فقط اعتبر الإسلام عطاءهما عملاً جليلاً استوجبا عليه الشكر وعرفان الجميل وأوجب لهما حقوقاً على الأبناء لم يوجبها لأحد على أحد إطلاقاً ، حتى أن الله تعالى قرن طاعتهما والإحسان إليهما بعبادته وتوحيده بشكل مباشر فقال : **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾**.

فالفضل على الإنسان بعد الله هو للوالدين، والشكر على الرعاية والعطاء يكون لهما بعد شكر الله وحمده، **﴿ووصينا الإنسان بوالديه... أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾**.

ولا يقتصر بر الوالدين على حياتهما بل إن من واجبات الأبناء إحياء ذكرهما من خلال زيارة قبريهما وقراءة الفاتحة لروحيهما والتصدق عنهما. كما أن عليهم حق البرِّ لهُمَا في جملة أمور ذكرها رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه فقال: يا رسول الله هل بقي لأبوي شيء من البرّ أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال رسول ﷺ : (**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنقاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلاّ بهما**).

غفر الله لي ولوالدي وللناس أجمعين.

ميساء عرعار

بر الوالدين وصية من الله

لقد أمرنا الله تعالى ببر الوالدين في مواضع كثيرة في كتابه الكريم سنأتي على ذكر بعض منها كما يلي :

قال تعالى { **وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا**} [البقرة: ٨٣].

إن أعلى الحقوق وأعظمها هو حق الله تبارك وتعالى ثم من بعده حق المخلوقين وآكدهم وأولاهم بذلك حق الوالدين ولهذا يقرن الله تعالى بين حقه وحق الوالدين في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

في الصحيحين عن ابن مسعود : (قلت يا رسول الله أي العمل أفضل : قال "الصلاة على وقتها " قلت ثم أي ؟ قال " بر الوالدين " قلت ثم أي ؟ قال " الجهاد في سبيل الله ") .

جاء في الحديث الصحيح : (أن رجلاً قال يا رسول الله من أبرّ ؟ قال : "أمك" قال ثم من ؟ قال " أمك " قال ثم من ؟ قال " أمك " قال ثم من ؟ قال " أباك " ثم أدناك ثم أدناك) .

قال الإمام أحمد : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تحقرن من المعروف شيئاً وإن لم تجد فألق أخاك بوجه منطلق) .

هذا للأخ من النسب أو أخوة الإسلام فما بال الوالدين ، اللهم عظم أجورهما واجعلنا لهما بارين ومحسنين في حياتهما وفي مماتهما .

قال الله تعالى { **يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** } [البقرة: ٢١٥].

قال مقاتل ابن حبان : هذه الآية في نفقة التطوع . وقال السدّي نسختها آية الزكاة وفيه نظر : لأن الزكاة لا يجب صرفها لمن يعول والوالدين ممن يعول ، والنفقة يجوز صرفها للوالدين والزوجات والأبناء وجميع من يعول إلى جانب الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل وغيرهم فهي من الصدقات .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار أنفقته على مسكين ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك) رواه مسلم .

روى مسلم عن أبي عبد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله) .

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة) متفق عليه .

أوصى الله تبارك وتعالى بالإحسان للوالدين فإنه سبحانه جعلهما سبباً لخروجنا من العدم إلى الوجود ، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان بالوالدين ثم عطف على الإحسان إليهما وإلى القرابات من الرجال والنساء .

قال أبي الدرداء عن عبادة ابن الصامت كل منهما يقول : أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أطع والديك وإن أمراك أن تخرج من الدنيا فافعل) في إسناديهما ضعف والله أعلم .

ورد في قصص القرآن قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عليه السلام في قوله تعالى { **فلما بلغ معه السعيَ قال يا بنيَّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** } [الصافات: ١٠٢]. هذا ضرب من سمو الطاعة وغاية في البر إذ جاد إسماعيل عليه السلام بنفسه وروحه لأبيه طواعية لله ثم لبر أبيه ، وما هي إلا لحظات حتى ينتهي وقت الامتحان وتأتي البشائر بالفوز في قوله تعالى { **فلما أسلما وتلّه للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إنَّ هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم**} [الصافات: ١٠٣ - ١٠٧] .

إن مثل هذه الطاعة كانت في عهد نبوة من نبي لأبيه إذ كانت الرؤيا من وحي الله فلذلك استسلما الأب والإبن لأمر الله وحينما ناداه الله تعالى أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ثم فداه الله بذبح عظيم .أي فدى الله إسماعيل بهذا الذبح جزاء صبرهما على أمر الله .

أما وقد ختمت الرسالات برسالة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق حيث نهى الله عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق . لو قال أحدهم إني أرى في المنام أني أذبح إبني ماذا نقول له ؟ نقول هذا حلم من الشيطان ، { **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** } [النحل: ٩٠].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله تعالى ، فليحمد الله عليها وليحدث بها) وفي رواية لا يحدث بها إلا من أحبّ ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره) متفق عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (الرؤيا الصالحة - وفي رواية " الرؤية الحسنة " من الله - والحلم من الشيطان ، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ من الشيطان ، فإنها لا تضره) متفق عليه .

عن جابر رضي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذي كان عليه) رواه مسلم .

ومن بر الوالدين : أن يطلب الولد من الله الغفران لوالديه { **ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** } [إبراهيم: ٤١].

وكان هذا الدعاء من إبراهيم عليه السلام لأبيه قبل أن يتبين له عداوة أبيه لله عز وجل .

قال تعالى { **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**} [الإسراء: ٢٣].

القضاء هو الأمر كذلك أوصاكم أي أمركم فقد أمر الله بهذا القضاء اقتران بعبادته مع بر الوالدين وأمر بالإحسان إليهما وعدم إسماعهما قولاً سيئاً أو مجرحاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء ولا يصدر إليهما فعل قبيح ولا تنهرهما أي لا تنفض يدك عليهما وباشرهما بالقول والفعل الحسن وقل لهما قولاً كريماً ليناً طيباً بتأدّبٍ وتوقيرٍ عظيم وتواضع لهما بفعلك وأدعُ لهما بالرحمة في كبرهما وعند وبعد وفاتهما .

عن أنس رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صعد المنبر قال "آمين آمين آمين " قيل يا رسول الله علام أمنت ؟ قال(أتاني جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلِّ عليك ، قل آمين فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين فقلت آمين) . رواه مسلم .

عن أبي مالك القشيري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه) رواه أبو داود الطيالسي .

جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله ؟ هل يبقى في بر أبواي شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال : (نعم ، خصال أربع . الصلاة عليهما - أي الدعاء لهما - والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقى عليك من برهما بعد موتهما) رواه أبو داود وابن ماجه .

عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله : أردت الغزو وجئتك أستشيرك ؟ فقال(فهل لك من أم) قال نعم قال(فالزمها فإن الجنة عند رجليها) . موطأ الإمام مالك .

عن المقدام بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بأمهاتكم ، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب) أخرجه ابن ماجه .

قال الإمام أحمد عن رجل من بني يربوع قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو يكلم الناس يقول : (يد المعطي العليا أمُّك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك) .

عن سليمان بن بريدة عن أبيه : أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمَّه يطوف بها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أديت حقها ؟ قال :(لا .. ولا بزفرة واحدة) رواه الإمام أحمد بن حنبل .

الزفرة : الدفعة من النفس الذي يخرج ممدوداً من حزن أو نحوه مع أنين موجع أو طلق النفساء عند الولادة .

من وصايا لقمان الحكيم لابنه :

يقول الله تعالى محدثاً عن وصية لقمان لابنه :

{ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمُّه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدينا معروفا واتبع سبيل من أناب إليَّ ثم إليَّ مرجعكم فأنبأكم بما كنتم تعملون . يابنيَّ إن تك مثقال حبةٍ من خردلٍ فتكن في صخرة أو في السموات أوفي الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير . يابنيَّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الحمير } [لقمان : ١٣-١٩].

ليتنا نعتبر وصية لقمان الحكيم لابنه هي وصية من جميع الآباء لأبنائهم فنأخذها.. نستضيء بنبراسها . نطبقها كوصية غالية صادرة من نبع الحنان والشفقة والترقب بالأمل لإصلاح النية والذرية ويالها من وصية ساطعة كسطوع الشمس التي تملأ الأرض ومن عليها بالضياء والدفء .

نعم إن هذه الوصية واضحة كوضوح الشمس فلا تحتاج إلى شرح أو إيضاح ولكن لا مانع من أن نأخذ جانباً واحداً منها ؟ **{ ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحاً . إن الله لا يحب كل مختال فخور }** [لقمان : ١٨] .

أي لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم ، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء في الحديث (

ولـو أن تلقـى أخـاك بوجـه منبسـط) وفي رواية (بوجه منطلق) وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله . تفسير ابن كثير .

قال ابن جرير أصل الصَّعَر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها فشبّه به الرجل المتكبر ومنه قول عمر بن حي التغلبي :

وكنا إذا الجبّار صعّر خدّه

أقمنـا له مـن ميله فتقوّما

وقال أبو طالب :

وكنـا قديمـا لانقـرُّ ظلامـةً

إذا مائلوا صعر الرؤوس نقيمها

المختال الفخور : هو المعجب في نفسه والفخور على غيره .

عـن ثابـت بـن قيس بـن شماس قـال : ذكـر الكـبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه فقال(إن الله لايحب كل مختال فخور) ١٨ لقمان ، فقال رجل يـا رسـول الله إنـي لأغسـل ثـيابي فيعجـبني بياضـها ويعجـبني شـراك نعلـي وعلاقـة سوطي فقال(ليس ذلك من الكبر ، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس) .

صـدق رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم فمـا أكـثر الحقـوق بـين الـناس التي تسفه وتغمط وأغلظها وأشدها ألماً وتقطيعاً إذا كانت تمتهن بين الأقارب والأرحام.

الترغيب في بر الوالدين

خرج سعد ابن عبادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فحضرت أمُّه الوفاة بالمدينة . فقيل لها أوصي . فقالت فيم أوصي ؟ إنما المال مال سعد ، فتوفيت قبل أن يقدم سعد . فلما قدم سعد ذكر له ذلك . فقال سعد : يا رسول الله هل ينفعها أن أتصدق عنها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نعم " فقال سعد : حائط كذا وكذا صدقةً عنها . أخرجه النسائي .

عن عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً قال : يا رسول الله إن أمّي افتلتت نفسها وأراها لو تكلمت تصدقت ؟ أفأتصدق عنها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نعم" أخرجه البخاري .

حدّث مالك : أنه بلغه أن رجلاً من الأنصار من بني الحارث من الخزرج تصدق على أبويه بصدقة فهلكا : فورث ابنهما المال وهو نخل ، فسأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (قد أجرت في صدقتك وخذها بميراثك) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينما ثلاثة نفر يتماشون ، أخذهم المطر فجالوا إلى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض أنظروا أعمالاً عملتموها لله صالحةً فادعوا بها بفرجها فقال أحدهم : اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ، ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم ، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالديَّ أسقيهما قبل ولدي وإنه ناء بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما ،

فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما ، أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج فرجة نرى منها السماء . ففرج الله لهم فرجة حتى يرون السماء) إلى آخر الحديث حتى أن فرّج الله عنهم) متفق عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(من أسره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) رواه البخاري ومسلم ، الأثر = العمر .

عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً (صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق : يعمران الديار ويزيدان في الأعمار) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كانت تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ، فأمرني أن أطلقها فأبيت ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال(يا عبد الله بن عمر طلق امرأتك) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي .

عن ابن حبان في صحيحه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع هذا الباب أو احفظه) .

ذكر البخاري في صحيحه حديث بهذا المعنى (ما من مسلم له والدين مسلميْن يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين - يعني من الجنة - وإن كان واحد فواحد ، وإذا أغضب أحدهما لم يرضَ الله عنه حتى يرضى عنه ، قيل وإن ظلماه ، قال : وإن ظلماه) .

قال الطحاوي : الظلم هنا بالأمور الدنيوية لا الأخروية . قال الفقهاء تُقّدم الأم على الأب في النفقة إذا لم يكن عند الولد إلا كفاية أحدهما لكثرة تعبها عليه، وشفقتها، وخدمتها، ومشقة حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته، ومعالجة أوساخه، وتأنيسه في مرضه وغير ذلك .

عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال : يارسول الله ماحق الوالدين على ولدهما؟ قال : (هما جنتك ونارك) رواه ابن ماجه .

عن أنس رضي الله عنه قال : أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه . قال : " هل بقي من والديك أحد" قال أمي قال : "قابل الله في برّها ، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد " رواه البزار.

معنى هذا الحديث أنه من أرضى أمه حاز ثواب الذي حج واعتمر وحارب في سبيل الله وذلك كله ترغيب في إطاعة الأم .

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من برَّ والديه طوبى له زاد الله في عمره) رواه أبو يعلي والحاكم والأصبهاني صحيح الإسناد .

عن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لايرد القضاء إلاّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاّ البر) رواه الترمذي .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(برّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم ، وعفُّوا تعفُّ نساؤكم) رواه الطبراني .

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قال : قدمت عليّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : قدمت عليّ أمي وهي راغبة (أي مشركة) أفأصل أمي ؟ قال: "نعم صلي أمك" رواه البخاري ومسلم (صلي أمك أي قومي لها إحساناً ومودة) .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رضى الله في رضى الوالد وسخط الله في سخط الوالد) رواه الترمذي . ورواه أيضاً الطبراني من حديث أبي هريرة رضى الله عنه إلاّ أنه قال(طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد) أيضاً رواه البزار .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم رجل فقال : إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ فقال: " هل لك من أم " قال: لا قال: "هل لك من خالة " قال : نعم . قال : " فبرَّها " رواه الترمذي .

عن أبي بردة: قال قدمت إلى المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت لا ،قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده) وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصلك ذاك . رواه ابن حبان في صحيحه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة وترك أبويه يبكيان ، فقال صلى الله عليه وسلم (إرجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما) رواه مسلم والبخاري .

قال ابن المنذر في هذا الحديث : النهي عن الخروج في السفر بغير إذن الأبوين مالم يقع النفير أي منادي الجهاد عند هجوم العدو فإذا وقع وجب الخروج على الجميع.

عن محمد ابن المنكدر عن رجل من مزينة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن استوت حسناتهم وسيئاتهم وعن أصحاب الأعراف قال : (هم ناس قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعم من النار قتلهم في سبيل الله) تفسير ابن كثير.

وعن حذيفة : أنه سئل عن أصحاب الأعراف فقال : (هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا على السور " سور الجنة " حتى يقضي الله فيهم) تفسير ابن كثير.

قال ابن عمر رضي الله عنهما : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه في الجهاد.فقال أحيٌ والداك؟ . قال نعم.قال(ففيهما فجاهد)رواه البخاري .

قال بشر : مامن رجل يقرُب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله . والنظر اليها أفضل من كل شيء .

الترهيب من عقوق الوالدين

لقد حرم الله عقوق الوالدين وكره ذلك ، ووصف العقوق بأنه أكبر الكبائر المهلك.. الموصل إلى الجحيم ..يمنع العاق من ريح الجنة وشم شذاها ، فلا يقبل عمل للعاق لأن العقوق مخالف لما نهى الله عنه ورسوله ، وينال العاق جزاءه في الدنيا قبل مماته من تحقير وفقر مدقع وأمراض ، وعقوق أبناءه فيه كما كان هو عاق في والديه ، واستوجب لعنة الله ورسوله والملائكة والناس ، والعقوق يجلب سوء الخاتمة ويطمس الله على بصيرته وينزع عنه الإيمان فلا يمكن أن ينطق بالشهادة عند الموت ، وتقبح صورته وتتغير هيئته الآدمية في القبر والعياذ بالله . بما كان ينعت أبويه من اسماء للحيوانات مثل حمار أو غيره..

اللهم أكرمنا برضى الوالدين وأجزهما عنا خيراً وارحمهما كما ربيانا وأغدق عليهما من شآبيب رحمتك إنك غفور رحيم .

عن المغيرة بن شعبة : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) متفق عليه .

عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: ثلاثاً : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة

الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يقولها حتى قلت لا يسكت) متفق عليه. وفي رواية عن أنس زاد " وقتل النفس " .

عن أبي سفيان : أن هرقل أرسل إليه فقال: فما يأمر ؟ يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال(يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة) متفق عليه .

عن جبير ابن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول(لا يدخل الجنة قاطع) رواه مسلم وابن حنبل .

عن أبي داوود من حديث أبي بكرة رفعه (ما من ذنب أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخّر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم).

من حديث أبي هريرة مرفوع (إن أعمال بني آدم تعرض كل عشية خميس ليلة الجمعة ، فلا يقبل عمل قاطع رحم) .

ومن حديث ابن مسعود مرفوعا (إن أبواب السماء مغلقة دون قاطع الرحم).

ومن حديث ابن أبي أوفي رفعه (إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم).

ذكر الطيبي أنه يحتمل بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه. ومن الرحمة المطر يحبس عن الناس عموماً بشؤم التقاطع .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة : قال نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى يارب ،

قال : فهو لك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرؤا إن شئتم { **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** } . متفق عليه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه ، وثلاثة لايدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث ، والرَّجلة) رواه الإمام أحمد بن حنبل.

١ - الديوث : هو الذي يقر أهله على الزنا مع علمه بهم وهو الذي لايبالي على من دخل على أهله .

٢ - الرّجلة : هي المترجّلة المتشبّهةُ بالرجال .

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم (ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفاً ولا عدلاً : عاق ، ومنان ، ومكذب بقدر) رواه الترمذي والأمام أحمد بن حنبل .

١ - الصرف : النافلة والتوبة ، والعدل : الفريضة أو الفداء ، والمنّان : كثير المنّ وتعيير من يعطيه ، ومكذب بقدر : الذي يكذب بالأمور التي يقدرها الله تعالى وإرادته.

لقد وردت كلمة عقوق الوالدين في أحاديث كثيرة وكانت هي القاسم المشترك في معظم الأحاديث التي ذكرناها والتي لم نذكرها ، جمعت بين الشرك بالله والفار من الزحف وآكل مال اليتيم وآكل الربا والعاق لوالديه . أشدهم عقوبة الحديث التالي :

عن ثوبان رضي الله عنه وقال صحيح الإسناد : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله وعقوق الوالدين ، والفار من الزحف) رواه الطبراني في الكبير، ومعلوم أن من مات على شرك أو كفر بالله فقد حبط عمله وهكذا من مات على عقوق لوالديه . لذلك يجب أن نتنبه ونقدر لذلك كل التقدير الذي لاتسويف فيه لكي نحافظ على بر الوالدين ومن كان فيه خصلة من عقوق فالمبادرة المبادرة بالتوبة والاستغفار قبل أن يفاجأ بالموت ، حيث لا ينفع الندم .

وأقول : لمن فاته بر والديه أو أحدهما بموتهما .. فإن البر بهما بعد موتهما بالاستغفار لهما والدعاء لهما والصدقة عنهما وسداد ديونهما وصلة رحمهما التي لا رحم إلا بهما . كل ذلك إن شاء الله يجعلك ممن أبر والديه . مع التوبة الصادقة والندم على ما فات من برهما في حياتهما .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قال إبليس وعزتك لا أبرح أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم . فقال. وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني) رواه أحمد .

عن عبد الله بن بشر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفار كثير) رواه ابن ماجه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بكاء الوالدين من العقوق والكبائر) أخرجه البخاري .

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحزن والديه فقد عقهما) رواه الخطيب .

وروى : أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره حجر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض .

روى : أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه .

حكاية :

حكى أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم شاب يسمى علقمة ، كان كثير الاجتهاد في طاعة الله ، في الصلاة والصوم والصدقة ، فمرض واشتد مرضه ، فأرسلت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوجي علقمة في النزاع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله .

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم : عماراً وصهيباً وبلالاً وقال: امضوا إليه ولقنوه الشهادة ، فمضوا إليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع الأخير، فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله ، ولسانه لا ينطق بها ، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل من أبويه من أحد حيّ ؟ قيل : يارسول الله أم كبيرة السن فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للرسول : قل لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلاّ فقري في المنزل حتى يأتيك . قال : فجاء إليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : نفسي لنفسه فداء أنا أحق بإتيانه . فتوكأت ، وقامت على عصا ، وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلّمت فردَّ عليها السلام وقال: يا أم علقمة أصدقيني وإن كذبتيني جاء الوحي من الله تعالى : كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت : يا رسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فما حالك ؟ قالت :يا رسول الله أنا عليه ساخطة ، قال ولما ؟ قالت : يا رسول الله كان يؤثر عليَّ زوجته ، ويعصيني ، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال: يا بلال إنطلق واجمع لي حطباً

كثيراً ، قالت: يا رسول الله وما تصنع؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك . قالت : يا رسول الله ولدى لا يحتمل قلبي أن تحرقه بالنار بين يدي . قال يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى ، فإن سرك أن يغفر الله له فارضي عنه ، فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة ، فقالت : يا رسول الله إني أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين أني قد رضيت عن ولدي علقمة . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنطلق يابلال إليه انظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياءاً مني ، فانطلق بلال فسمع علقمة من داخل الدار يقول لا إله إلا الله . فدخل بلال قال : يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه ،ثم مات علقمة من يومه ، فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه ، وحضر دفنه . ثم قال: على شفير قبره (يا معشر المهاجرين والأنصار من فضَّل زوجته على أمُّه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليها ويطلب رضاها . فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها) روى عبد الله ابن أبي أوفي رضي الله عنه حديثا قريباً منه . تفسير بن كثير .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن ، دعوة الوالد ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر) رواه أبو داود والترمذي .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(يراح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام " وفي حديث آخر ألف عام " ولا يجد ريحها منَّان بعمله ولا عاق ولا مدمن خمر) رواه الطبراني في الصغير .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من الكبائر شتم الرجل والديه) قالوا يا رسول الله هل يشتم الرجل والديه ؟ قال " نعم يسبُّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه " رواه البخاري وأبو داود والترمذي .

عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالي وصمت رمضان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه) رواه أحمد " يشير الراوي إلى نصب أصبعي الرسول صلى الله عليه وسلم وغالباً ما يكونا الأصبعان الوسطى والسبابة وهي إشارة أو دلالة على الأبوين حيث اشترط لدخول هذا المؤمن للجنة مع حسن الرفاق. أن يطيع والديه ولا يؤذيهما لأن عقوقهما يحبط الثواب ويضيع الحسنات فلا يجد العاق ما يقيه يوم القيامة من العذاب بفعل عقوق والديه.

بر الوالدين – همسة

أمـــا والله إن الظُّلـــــم شـؤمُ ... ولا زال المسيء هـــو الظَّلومُ

إلى الدَّيان يوم الــدِّين نمضـــي ... وعند الله تجتمـــع الخصـــوم

ستعلم في الحســـاب إذا التـقينا ... غداً عند المليـــك من الملـــوم

ستنقطع اللـــذائذ عـــن أنـاس ... في الدنيـــا وتنقطـع الهمـــوم

وقال آخر :

عليـــك ببر الوالدين كليهـــما ... وبر ذوي القربى وبر الأباعـــدِ

ولا تصحـــبن إلا تقياً مهـــذباً ... عفيفاً ذكياً منجزاً للمواعـــد

وقارن إذا قارنت حـــراً مؤدباً ... فتىً من بني الأحرار زيْن المشاهد

وكف الأذى واحفظ لسانك واتقـى ... فديتُك في وُدّ الخليل المساعـــد

ونافس ببذل المال في طلب العـــلا ... بهمة محمود الخلائق ماجـــد

كن واثقاً بالله في كـــلّ حادث ... يصنك مدى الأيام من شر حاسـد

وبالله فاستعصم ولا تـــرج غيره ... ولا تك في النعماء عنه بجاحـــد

وغض عن المكروه طرفك واجتنـب ... أذى الجار واستمسك بحبك المحامد

يا معشر المؤمنات :

يا من أكرمكن الله بهذه الحقوق ويا من أوصى الله فيكن وأوصى فيكن رسول الله صلى الله عليه وسلم . إتقين الله في أزواجكن ، وسهلوا لهم طريق البر لوالديهم إن في ذلك أجر عظيم . قيل في الأثر الساعي إلى الخير كفاعله . وأفضل مسعى للخير أن تقرّب الزوجة لزوجها سبل برّ والديه وتعينه على ذلك بشيء من التضحية { **والله يعلم ما تكن صدورهم ومايعلنون** } عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله عز وجل إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة ، وإن أراد أن يعمل حسنةً فلم يعملها اكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة " رواه البخاري ومسلم (في نسخة : وإن تركها - أي السيئة – فاكتبوا له بعشر أمثالها إلى سبعمائة) .

يا نساء المؤمنين اجتهدن في عمل الخير وأبرَّ الخير برُّ الوالدين واحذري أختي المؤمنة أن تتمادي في إيذاء أم زوجك أو تحريض زوجك عليها . فإن الله يمهل ولا يهمل . قد تكوني في يوم ما أنت الأم التي تعاملها زوجة ولدها معاملة سيئة ، فيكون الجزاء من جنس العمل . أعاذنا الله وإياكن من عقوبة العزيز الجبار ووفقنا جميعا لرضاه وأن يجنبنا سخطه وأن يولينا ويجعلنا من أهل رضوانه وغفرانه إنه جواد كريم.

وهذه بعض الأساليب والطرق في تجنب عقوقهما و من ثم برهما .. :

١- إن من العقوق أن يدع الإنسان والديه من غير معيل لهما ، ولا يرعاهما ويترك الإنفاق عليهما وهما محتاجان له ، ومن ذلك أن بعض الناس إذا تزوج خرج من بيت والده من غير أن يستأذنه ويستأذن أمه – طبعاً هذا إذا دعت الحاجة لخروجه -، أما إذا لم تكن هناك حاجة لخروجه فليبق معهما لتكتحل عيونهما برؤيته وتقر قلوبهما بحضرته ، وليضع نفسه في مكانهما وقد أراد ابنه أن يفارقه فلا يراه في اليوم إلا مرة أو نحو ذلك ، ماذا يكون شعوره ؟! .

٢- وليحذر الولد – ذكراً أو أنثى – مما يغضب والديه ، وليتجنب دعاءهما باسمهما مجرداً ، بل يقول يا أبتاه .. يا أماه .. ونحوهما من ألفاظ التبجيل والتكريم .

٣- إن بعض الأبناء حين يكبر ويصير له عمل يتقاضى مقابله مالاً ، لا يقوم بتقديم ولو جزء يسير منه لوالديه أو أحدهما ، إن ذلك الجزء اليسير له مقام عظيم في نفس الوالدين لأنهما أحسا وتيقنا اهتمام ولدهما بهما .

٤- أن بعض الأولاد تجده كريماً مع أهله – من زوجة وولد – ومع أصدقائه ، فيسبغ عليهم العطايا والهدايا ، ولكن هل دعته نفسه – الخاطئة – أن يقدم

هدية لوالديه – أو أحدهما – إنها في الواقع ليست بهدية بل رد لبعض جزء من دين عظيم وضخم ينوء به كاهله .

أيها القارئ ، أيتها القارئة : بادر من ساعتك إلى محفظة نقودك وتوجه لأقرب مكان تظن أن به حاجة يريدها والداك أو أحدهما .. ساعة .. سوار .. عطر .. ملابس .. الخ . ولتتقدم بها لوالديك وأردفها بكلمات الاعتذار عن تأخرها عن وقتها ، وليكن هذا هو دأبك بين الحين والآخر .. تحمد عاقبة ذلك بإذن الله .

٥- أن بعض الناس تراه في المجالس بشوشاً مبتسماً حسن الخلق فرحاً مسروراً ، يختار من الكلام أحسنه وأليقه ، ولكن عند والديه تجده محزوناً كئيباً منعقد اللسان إلا بجارح الكلام .. فيا أيها الفاعل لذلك والمفرط فيما هو واجب عليك ، هلا أدخلت على والديك السرور بأن تكون طلق الوجه في محيا والديك فتقابلهما بالبشر والترحاب وأطيب ما تجد من الكلام ، هلا بادرت إلى تقبيل رأسيهما في كل صبح ومساءٍ .. افعل .. وبادر .. تحمد عاقبة ذلك .

٦- أن بعض الأبناء تركوا قضاء حاجيات والديهم وحملوا فعل ذلك للسائق والخادم ، ولا يخفى خطأ ذلك .

فيا أيها العاق .. فلما ترعرع جسمك واشتد أمرك وبلغت سن الرجاء والأمل جازيت بالإحسان إساءة وبالوصل قطيعة وبالتواضع غلظة وفظاظة ، وبالتربية جفاءً وبالدنو بعداً ، وبالمحبة نفوراً ، وبالبذل والعطاء منعاً وبخلاً ، فقطعت ما أمر الله به أن يوصل ، ومنعت ما أمر الله به أن يبذل ؛ وكم ليلة باتا ساهرين لسهرك باكيين لبكائك ، متململين لألمك ، طاويين إذا لم تأكل مهمومين إذا لم تفرح ، فكان جزاءهما منك أن أبكيت عيونهما وأسهرت ليلتهما وضيقت

صدورهما .. وكأنك موكل بخلافهما ومنتصب لعقوقهما .. فوا عجباً لهذا الميزان الناقص والجزاء الفاضح ..

وهذه بعض الوسائل المعينة على بر الوالدين (أثناء حياتهما وبعد مماتهما):-

١- **الدعاء :** فما استجلبت الخيرات بمثله ، وهكذا كان هدي الصالحين يضرعون إلى بارئهم أن يوفقهم لبر والديهم وأن يكون آباؤهم وأمهاتهم راضين عنهم ، قال تعالى { **رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه ..** } الآية .

٢- **تذكر نعمة وجودهما وأنهما راحلين :** أجل إن هذين الوالدين اللذين يستنير البصر برؤيتهما وينجلي الحزن بابتسامتهما وتتوالى المسرات بفرحهما .. هذان الوالدان قد يأتي يوم يُصَدِّع القلب مَسَاؤه ويُفَطِّر الكبد صباحه ، حيث تصبح أو تمسي وقلبك مجروح بفقد أحد والديك ، وغيابه عن ناظريك .. فهل تأملت تلك اللحظات العصيبات !! إن وجود والديك أو أحدهما نعمة عظمى ومنحة كبرى ، فبادر بشكرها بعظيم برهما ، وعمل كل أمر يسرهما ..

٣- **تذكر الأجر المرتب على برهما :** الوالدان باب من أبواب الجنة ، إذا بررتهما وقد يكونان سبباً في شقائك إن أنت أسرفت في عقوقهما ، فإذا

تذكرت ما في برهما من الأجر الجزيل وما في عقوقهما من الإثم العظيم كان ذلك دافعاً قوياً للحرص على برهما .

٤- **كما تدين تدان :** نعم .. كما تدين تدان وكما تبر والديك اليوم فسيكون بر أولادك لك غداً .. وأيضاً كما تعق والديك اليوم ، فمن ورائك عقوق أبنائك لك غدا . والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً .. فاحذر أن تُشقي نفسك فتشقي أبناءك معك ومن بعدك ..

٥- **أداء الدّين عنهما :** خاصة إذا كانت لهما تركة فقد وجب القضاء من تركتهما قبل قسمة الميراث ، وإن لم يكن لهما مال وعليهما دين فإن الواجب عليك أن تسارع إلى تسديد هذا الدين عنهما براً لهما وإحساناً ..

٦- **إنفاذ الوعود التي وعدها أبواك :** فيستحب لك أن تفي وتنجز لهما ما وعدا وفاءً لهما وابتغاء الأجر والثواب من الله عز وجل .

٧- **ترك النياحة عليهما إذا ماتا :** لأن النياحة لا تفيد بل تضر .. أما مجرد البكاء مع دمع العين وحزن القلب فلا جناح على من صدر منه ذلك ، ولنا في رسول الله أسوة حينما مات ولده إبراهيم ..

٨- **الصدقة الجارية :** فهي تفيد الميت مما يصل ثوابها إليه .. وقد نقل الإمام النووي رحمه الله الإجماع على ذلك . شرح صحيح مسلم (١٦٧/٤) . ومن أفضل الصدقات الجارية سقيا الماء ، كما قال أهل العلم ..

٩- **الصيام عنهما إذا ماتا وعليهما صوم** .. مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم **(من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه)** . والحديث في الصحيحين .

١٠- **الحج عنهما إذا ماتا ولم يحجا** . لقوله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي أتت تسأل عن أمها ، فقال : (حجي عنها) . والحديث في الصحيحين . وحتى إذا كانا كبيرين ولا يستطيعان الحج .. والعمرة أيضاً جائزة عن الوالدين .

١١- **إسترضاء الخصوم** : كأن تكون بين والدك وبعض الناس قبل الممات شحناء وخصومة ، فقم بطلب العفو عن أبيك ودعائهم له ، وكذا عن والدتك .

١٢- **صلاة الولد على والديه بعد مماتهما** : إن أمكن أن يصلي عليهما صلاة الجنازة كإمام للمصلين ، فعل ذلك ؛ لأن الابن – في الغالب – يكون أشد إخلاصاً في الدعاء لوالديه والله تعالى أعلم .

١٣- **أن تصل أهل ود أبيك أو أمك** : وذلك كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٢) وذلك أيضاً من حسن العهد ومن الوفاء والصلة المحمودة .. فواصل صلة الرحم التي كان يصلها أبوك ولا تقطعها ..

١٤- **واصل مسيرة الخير التي سار فيها والدك** : إن كان والدك يعطي الفقراء والمساكين ، فواصل العطاء ولا تبخل على هؤلاء ..

١٥- **أصلح ما أفسده والدك** : بمعنى إن كان والدك قد اقترف سوءاً أوجره إلى مسلم أو ظلم شخصاً أو قطع رحماً .. الخ ، فعليك إن كنت تريد رحمة والدك مما هو فيه من العذاب ، أن تصلح ما أفسده ..

وهذه أساليب أخرى تجلب رضا الوالدين :-

١- ألا تحد النظر إليهما . أي لا تحد النظر إليهما أثناء الحديث معهما ..

٢- لا ترفع صوتك عليهما . أثناء الحديث أو طلب شيء أو الاستفسار عن شيء .

٣- لا تسبقهما بحديث . بمعنى ألا يتكلم في وجود من هم أكبر سناً منه وبلا شك فالوالدان أعظم حقاً من سائر الكبار .

٤- لا تجلس أمامهما وهما قيام . وهذا أدب نبوي علمنا نبيا عليه الصلاة والسلام .

٥- لا تؤثر نفسك عليهما بطعام ولا بشراب . ففي قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ، وكيف أن أحدهم ظل واقفاً باللبن على باب والديه حتى طلع الفجر فشربا قبل أن يشرب هو وأولاده ..

٦- طلب الاستغفار من الوالدين . ورضى الوالدين مطلب .. فمهما أحسن إليهما من إحسان وصنع إليهما من معروف فلن يوفيهما حقوقهما .

٧- ألا تسب والديك ولا تجلب لهما السباب .. كما في الحديث الصحيح : (**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه**). رواه مسلم برقم (٩٢) .

وهذه أمور إن فعله الولد مع والديه لم تكن من العقوق :-

١- شهادة الحق على الوالدين ، خاصة إذا كان عليهما حق .. فهذا ليس من العقوق في شيء ، بل هي عين البر .

٢- ترك التعصب الجاهلي والجدال عن الآباء بالباطل .. وليتذكر المؤمن أن هذه العصبيات تنقطع يوم يقوم الأشهاد ..

٣- عدم الحلف بالآباء ، فليس من البر أن تحلف بهما بل هذا عمل محرم .

٤- عفو الولد عن قاتل أبيه ، خاصة القتل الخطأ .. اللهم إن كان القاتل من المفسدين في الأرض .. فإراحة الناس من شره مطلب حينئذ ..

٥- تحاكم الولد مع والده .. فإنه إذا ظلم الوالد والده فرفعه الولد إلى قاض أو حاكم ، فهذا ليس من العقوق إذا كان لرفع ظلم أو لإثبات حق أو لفض نزاع .. أما إذا كان ذلك لإهانة الوالد أو للتشهير به أو لابتزازه بلا سبب فهذا حرام وهذا عقوق وهو من الكبائر .

٦- إذا أعضل الرجل ابنته فأبى أن يزوجها مطلقاً ، وهي تخشى الفتنة على نفسها .. فابتداءاً الله لا يحب الفساد ، فعليه يجوز أن ترفع أمرها إلى السلطان ، فإن السلطان ولي من لا ولي له .

٧- الحجر على الأب السفيه أو على الأم السفيهة : ابتداءاً عندنا من النصوص كم هائل ينهى عن الفساد في الأرض ويأمر بإصلاحها .. وهي نصوص تعم القريب والبعيد وتنسحب على الوالدين وغيرهما .. ولا تنافي بين هذه النصوص ولا تعارض بينها وبين الأمر بالإحسان إلى الوالدين

وبرهما وطاعتهما .. فأي بر أعظم من بر تصحبه إلى الجنة ويؤول بالشخص إلى الجنة ويقوده إليها .. فإذا كان الوالد من المفسدين في الأرض ويريد إجبار ولده على السير في طريق الفساد ، فلا طاعة حينئذ .. وينبغي أن يصاحب عدمَ الطاعة هذا بالحكمة والموعظة الحسنة ..

٨- الاستدراك على الوالدين ، أو اختيار رأي غير رأيهما : خاصة إذا كان في استدراكه صواب وخير ومعروف .. وليبرز ذلك بطريقة حسنة مكللة بالوقار والخلق الرفيع والأدب الحسن .

٩- الاستفسار من الوالد عن الأمر الغامض : بسبب تصرف سلكه الوالد معه فضايقه أوآذاه .. وكل ذلك بأسلوب حسن .

١٠- ترك التسمية بأسماء الأباء أو الأجداد : لاشك أن من البر أحياناً أن يسمي الرجل ولده باسم أبيه ، فإذا كان الوالد من الصالحين واسمه اسم طيب له مدلوله الطيب الحسن واسم من الأسماء التي حض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتسمية باسمه حينئذ فيها بر وإحسان ، خاصة إذا كان ذلك يسعده .. أما إذا كان الوالد من الغواة الآثمين ، فالتسمية باسمه يد يكون فيها إحياء لذكره ولمآثره السيئة بما يحمل على اتباعه فيها ، فحينئذ قطع دابره بترك التسمية باسمه أولى .. وكذلك إذا كان الاسم ليس له مدلول طيب ، فتركه أولى كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم . أما إذا كان اسم الوالد أو الوالدة لا يحمل مدلولاً طيباً ولا خبيثاً ، وأراد الوالد أو الوالدة أن يتسمى به الحفيد ، وأراد ابنهما أن يتسمى ولده باسم له مدلول

طيب ، فلا يجبر الابن على أن يسمي ولده باسم أبيه أو أمه ، وذلك لأن المولود أيضاً له حق في أن يحظى بطيب الأسماء والله أعلم .

١١- إذا طلق الرجل امرأته وكان له منها ولد ، وكان هذا الولد مع أحدهما فأمره بعدم زيارة الآخر وعدم بره .. فلا طاعة له حينئذ ، لأنه يدعو لقطع الرحم والطاعة إنما تكون في المعروف . اللهم إلا إذا كان المنع بسبب الفساد في الدين والأخلاق .. والله تعالى أعلم .

١٢- التفدية بالأب أو الأم لفظاً ، كقول القائل : فداك أبي وأمي ، فهذا جائز والأدلة في هذا الباب كثيرة كقول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد : (يا سعد ارم فداك أبي وأمي) .

١٣- عدم طاعة الوالدان في تطليق الزوجة ، الأصل في المسألة أن الوالدين إذا كانا صالحين ولا يأمران بظلم ولا بجور وكان سبب الطلاق له وجه شرعي .. لزم الولد أن يطلق زوجته وإن كان يحبها ، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .. أم إذا كان الوالدان أو أحدهما من السفاهة والطيش بمكان ، وكانا من البعد عن الدين أيضاً .. فحينئذ فأمرهما ليس برشيد ، وما أمرنا الله بطاعة السفهاء الذي يفسدون في الأرض ولا يصلحون .. فلم يقل أحد بطاعة السفيه فيما يدعو إليه من تشتيت الأولاد وتدمير الأسر ..

١٤- للفتاة أن تعرض عن رأي والدها إذا أجبرها على الزواج من شخص لا ترضاه ، وكان الإعراض له وجه شرعي .. كأن يكون المتقدم فاسقاً .. ومعروف عنه الشر والفساد .. لا أن ترفضه وتعارض بحجة إكمال الدراسة أو لم يئن الأوان بعد ..

١٥- وللولد أن يرفض الزواج من فتاة لا يريدها وكان ملزماً من أحد الأبوين .. وأنه إذا امتنع لم يكن عاقاً ، كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣٢ / ٣٠) .

إلى غيرها من الأمور التي قال فيها أهل العلم أنها ليست من العقوق .. والله تعالى أعلم .

الأم مكانتها ودورها

جندية مجهولة:

فعلى البسيطة من هذا الكون ثَمَّ مخلوقة ضعيفة، تغلب عليها العاطفة الحانية، والرقة الهاتنة، لها من الجهود والفضائل ما قد يتجاهله ذوو الترف، ممن لهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم قلوب لا يفقهون بها، هي جندية حيث لا جند، وهي حارسة حيث لا حرس، لها من قوة الجذب ومَلَكة الاستعطاف ما تأخذ به لبَّ الصبي والشرخ كلّه، وتملك نياط العاطفة دقّها وجلّها، وتحل منه محل العضو من الجسد، بطنها له وعاء، وثديها له سقاء، وحجرها له حِواء، إنه ليملك فيها حق الرحمة والحنان، لكمالها ونضجها، وهي أضعف خلق الله إنساناً، إنها مخلوقة تسمى الأم، وما أدراكم ما الأم؟!.

أم الإنسان – عباد الله – هي أصله وعماده الذي يتكئ عليه، ويرد إليه **{وَاللهُ جَعَلَ لَكُم مِن أنفسكم أزوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِن أزواجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً}** [النحل: ٧٢]. وكون الشيء أصلاً وعماداً دليل بارز بجلائه على المكانة وعلو الشأن وقوة المرجعية، ألا ترون أن أم البشر حواء، وأم القوم رئيسُهم، وأم الكتاب الفاتحة. وأم القرى مكة، وفي ثنايا العلوم كتاب الأم للشافعي رحمه الله؟!

إننا حينما نتحدث عن الأم فإننا نتحدث عنها على أنها قرينةُ الأب، لها شأن في المجتمع المكوَّن من البيوتات، والبيوتات المكونة من الأسر، والأسر المكونة منها ومن بَعْلِها وأولادها، هي نصف البشرية، ويخرج من بين ترائبها نصف آخر،

فكأنها بذلك أمةٌ بتمامها، بل هي تلد الأمة الكاملة، إضافة إلى ما أولاه الإسلام من رعاية لحق الأم، ووضع مكانتها موضع الاعتبار، فلها مقام في الحضانة، ولها مقام في الرضاع، وقولوا مثل ذلك في النفقة والبرِّ وكذا الإرث.

لا للعقوق:

ألا فليتق الله الأولاد، وليقدِّروا للأم حقَّها وبرَّها، ولينتهين أقوام عن عقوق أمهاتهم قبل أن تحل بهم عقوبة الله وقارعته، ففي الصحيحين يقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات) وعند أحمد وابن ماجة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يوصيكم في أمهاتكم) قالها ثلاثاً، وعند الترمذي في جامعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء... وذكر منها: وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه).

ألا لا يعجبنَّ أحدٌ ببره بأمه، أو يتعاظم ما يسديه لها، فبرُّها طريق إلى الجنة.

جاء عند البيهقي في شعب الإيمان، والبخاري في الأدب المفرد: "أن أبا بردة بن أبي موسى الأشعري حدّث: أنه شهد ابن عمر رجلاً يمانياً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بعيرها المذلَّل ❖❖❖ إن أُذعرت ركابها لم أُذعر

الله ربي ذو الجلال الأكبر، حملتها أكثر مما حملتني، فهل ترى جازيتها يا ابن عمر؟ قال ابن عمر: لا، ولا بزفرة واحدة!".

ليس هكذا تُكرم الأم!!

ألا فاتقوا الله معاشر المسلمين، واعلموا أنه ينبغي التنبيه إلى مكانة الأم وواجب الأولاد والمجتمع تجاهها لا يعني خرق حدود الشريعة أو تجاوزها، إذ تلك حدود الله فلا تعتدوها، فالأم لا تُطاع في معصية الله، ولا يُقدَّم قولها على قول الله ورسوله، ولا ينبغي أن يُتشبَّه بأهل الكفر في طقوسهم ومراسيمهم مع الأم، والتي هي ليست من نهج الإسلام في شيء، حيث يعملون لها يوماً في السنة هو يوم البر بها، يقدمون لها فيه شيئاً من الزهور أو الطيب ونحو ذلك، يسمونه عيد الأم، وهذا من البدع المنكرة التي يكتنفها آفتان:

أولاهما: تقليد أهل الكفر: ورسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن التشبه بهم، وأمرنا بمخالفتهم، ومن أبى فقد قال عنه صلى الله عليه وسلم: (ومن تشبه بقوم فهو منهم)حتى لقد قال اليهود عنه: ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه [رواه مسلم].

وثاني الأمرين: هو إحداث عيد واحتفال لا يُعرف في أعياد المسلمين: وما للمسلمين إلا عيدان: عيد فطر، وعيد أضحى، وما عدا ذلك من أعياد للأم واحتفالات، أو أعياد للميلاد أو للبلوغ أو للكهولة أو للشيخوخة، كل ذلك مما أُحدث في الدين، وحرّمه علماء الملة. فكل احتفال أو عيد لم يدل الشرع عليه فهو بدعة محدثة، ورضي الله عن ابن عباس حين قال: (ما أتى على الناس حتى أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن).

حــق الأب

ولا يقل حق الأب أهمية وجلالاً عن حق الأم، فهو يمثل الأصل والابن هو الفرع، وقد أمضى حياته وشبابه وأفنى عمره بكد واجتهاد للحفاظ على أسرته وتأمين الحياة الهانئة لأولاده، فتعب وخاطر واقتحم المشقات والصعاب في هذا السبيل، وفي ذلك يقول زين العابدين: "وأمَّا حق أبيك فتعلم أنَّه أصلك وإنَّك فرعه، وإنَّك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مِمَّا يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك".

وعلى الإنسان أن يدرك جيداً كيف يتعاطى مع والده كي لا يكون عاقاً وهو غافل عن ذلك، فعليه تعظيمه واحترامه واستشعار الخضوع والاستكانة في حضرته.

حق الوالد في صلته مالياً وإنفاذ وصاياه

بر الوالدين وصلتهما أمر معلوم من الدين بالضرورة ، قال الله عز وجل : (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) . النساء ٣٦ ، وقد تكرر هذا المعنى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم حيث جعل الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله عز وجل وتوحيده مباشرة ، وقال عز من قائل : " ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا " . العنكبوت ٨ . وقد وردت الوصية للوالدين بهذا اللفظ "ووصينا " ثلاث مرات في القرآن الكريم ، وهذا يدل على حفاوة القرآن بالوالدين وبرهما ، وفي السنة عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه _ قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال [الصلاة على وقتها ، قلت ثم أي؟ قال بر الوالدين ، قلت ثم أي ؟ قال الجهاد في سبيل الله] . رواه البخاري ومسلم .

وهذه النصوص وغيرها تدل على أن أفضل حقوق الناس حق الوالدين ، وقد وردت بعض النصوص تخص حق الوالد وكرامتة على ولده ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : [لا يجزى ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشترية فيعتقه] . رواه مسلم .

وإذن فمكانة الوالد عظيمة في الإسلام ، ومن هنا نجد أن الإسلام رتب له حقوقاً مالية يتكلفها ولده طاعة لله عز وجل ، ورداً لجزء من حقوق وجميل الوالد

عليه إذا كان الوالد حيًا واجداً ، أو بعد موته من تركته حيث يرث الأب مع الوارثين ، ونبدأ بالميراث :

حالات الأب في الميراث :

الأب في الميراث من أصحاب الفروض ، ومن العصبات ، لذلك كان له حالات في الميراث نذكرها فيما يلي :

ا الحالة الأولى : الإرث بالفرض وحده :

وهذا إذا كان للميت فرع وارث من الذكور كالابن وابن الابن .

الحالة الثانية : الإرث بالتعصيب وحده .

وذلك إذا لم يكن للميت فرع وارث أبداً ، ذكراً كان أم أنثى ، كابن أو بنت أو ابن ابن أو بنت ابن .

الحالة الثالثة : الجمع بين الفرض والتعصيب :

وذلك إذا كان معه من ولد الميت أنثى وارثة ، كبنت الميت ، أو بنت ابنه واحدة كانت أو أكثر فإنه يأخذ السدس بالفرض أولاً ، ثم يأخذ الباقي بالتعصيب ، إن بقي بعد الفروض شيء.

ازرع حبا تجن برا

إن للوالدين دور في تربية أولادهما على البر والحب والامتنان ثم التعبير بشكل عملي ومستمر عن كل هذه المشاعر.. فتعليم بر الوالدين لا يتوقف عند تعليم الأبناء الاحترام وعدم رفع الصوت وطاعة الأوامر وعدم الإزعاج، وليس منًّا على الأبناء بفضل الوالدين، بل هو غرس وتنمية الثقافة والحب والمشاعر والبر.

الحب.. فعل :

يطلق الناس على ما يشعرون به من ميل وتقارب تجاه بعضهم البعض فضلاً عن الشعور بالاحتياج.. اسم الحب.. ومن هنا شعر البعض أن الحب مشاعر لا إرادية تظهر فجأة وربما أيضًا تنضب فجأة.. ولكن لو تأملنا قليلاً كلمة (أحب) وجدنا أنها فعل، أي أن تلك المشاعر التي يشعر بها الناس وتؤلف بين قلوبهم هي نتيجة أفعال تحدث فتقوي الروابط وتحرك المشاعر صعودًا وهبوطًا مع كم وكيف تلك الأفعال.. بناء على ذلك فإن شعور الأبناء بالحب تجاه والديهم ليس فيضًا يأتي فجأة.. بل هو شعور ينبع في قلب الوليد من لحظة ولادته؛ إذ لا يجد الحنان والرحمة والإشباع لحاجاته من أمان ودفء إلا في هذا الحضن الجميل الدافئ حضن الأم والأب.. ثم يكبر ويستقل قليلاً فتأخذ بيده الأم ليمشي وتحكي له الحكايات لينام وتوقظه على ضحكه بهدوء وصوت حنون؛ لتقدم له طعامه وتنظم له يومه.. ولكن: كيف نستثمر وننمي تلك المشاعر ونفعلها لتكون في حيز التصرفات برًا دائمًا لا يتغير ولا ينقص بخروج الطفل إلى العالم الخارجي واختلاطه بغير أسرته؟ إذ ربما تحول حب

الوالدين لولدهما لتدليل يفسده، وربما كان بالتوجيه الخطوة إلى إفراز جيل جديد يعطي للمشاعر والأحاسيس والحب مكانها في ذلك العصر المشحون بالتوتر.

حبة قلب رسول الله :

ولنا في هدي رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) القدوة والأسوة الحسنة في التودد وإظهار الحب والعطف والاهتمام بكل من حوله، وكذلك الأطفال على الرغم من تحمله أعباء ومسئوليات جسام، فقد كان ينادي فاطمة الزهراء (بأم أبيها) ويقوم ليجلسها على ثوبه إذا دخلت عليه ثم يقبلها في جبينها.

أما الزهراء (رضي الله عنها) فكانت وهي ذات السنوات التي تعد على أصابع اليدين تخترق الجموع القرشية الكافرة في شجاعة وحب لتزيل عن كتف أبيها الأذى الذي وضعوه عليه وهو ساجدًا في صلاته... فالحب واللين والرحمة مع الابن لم ينقص من هيبة الأب، ولم يقلل من احترامه في نظر ابنه، وإنما الحب كالعدوى التي تنتشر سريعًا.

الحب الأسري.. برنامج عملي :

لو أردنا التطبيق بشكل عملي فليتعاون كل الوالدين على إشعار الطفل بشكل غير مباشر بهذه المعاني وتدريبه على ممارستها: يمكن للأم أن تعلم طفلها فضل أبيه عليه:

١ - من خلال القصص والحكايات والسرد لدور الأب المهم في حياة أبنائه.

٢ - تتفق معه على برنامج يعده لاستقبال والده والترحيب به عند عودته من العمل وعند الطعام وفي يوم الإجازة، فيتفقان مثلاً على نشيد جميل أو هتاف سعيد

للاستقبال ثم احتضان الأب وتقبيل جبينه ويده والمساعدة في تغيير ملابسه ومناولته ما يحتاجه كالحذاء أو المنشفة مثلاً ريثما تعد الأم الطعام..

٣- كما تدربه على ضرورة المحافظة وعدم نسيان تحيات الصباح عند الاستيقاظ وعند النوم مع إعطائها القدر اللازم من الحرارة والمشاعر الصادقة، ويمكن أن تبادر هي بذلك بداية لتصبح عادة عند الطفل..

وكذلك الأب يخطط مع الطفل لخطط يسعد بها الأم والإخوة:

١- إحضار هدية أو ورد أو ترتيب الحجرة أو كتابة كلمة رقيقة أو رسم جميل يقوم بتلوينه وتقديمه لها.

٢- هدية يقوم بصناعتها يدويًا كصناعة ألبوم للصور مثلاً يضم صور العائلة أو مجسمات ذات أشكال ودلالات مختلفة.

استثمار المناسبات السعيدة:

نعم يمكن للأبوين أن يحققا ذلك ..

بإيجاد دفتر مثلاً يكتب فيه الطفل تواريخ هامة مثل الأعياد والمناسبات المختلفة كبداية العام الدراسي والعام الهجري وحلول رمضان وشهور البركة والفضل... الخ، وذلك ليقوم بتهنئة كل من يحب ويدعو لهم في تلك المناسبات.

هكذا ويمكن أن تتسع الدائرة ليتعاون هذا الفريق المكون من الأب والأم والأطفال في تنفيذ خطط أخرى لإسعاد الجد والجدة والجيران بتهنئة جاره في مناسبة بإحضار هدية جميلة معبرة مع بسمة رقيقة دائمة تنير الوجه..

ولا شك أن الصغير سيسعد بكونه عضوًا بارزًا في هذه التنظيمات ذات الأهداف النبيلة.. كما سيسعد جدًا بالمناسبات التي تظهر عبقريته في حبه ومشاعره وتستفز طاقاته لإشعار من حوله بما يكن تجاههم من مشاعر جميلة، وستكون كل مناسبة فرصة لإعادة الحيوية والشباب لعواطف الأسرة والمحيطين بها.

إنها ثقافة الحب التي من شأنها إفراز جيل يعطي للمشاعر والأحاسيس والحب تقديرها اللائق ومكانها ونصيبها في ذلك العصر المشحون بالتوتر.. إنه بر الوالدين الذي يرحم الله الآباء الذين يعلمون أولادهم صلة الرحم وحسن الجيرة التي غابت عن حياتنا حقاً "رحم الله والدا أعان ولده على بره".

بـر الأبنـــاء

قـد يتوهم القـارئ لأول وهلـة أن هنـاك خطأً في العنوان، ولكن الأمر ليس كذلك، ففي خضم الحديث المتواصل عن بـر الوالدين وأهميته في الإسلام، نسي كثير من الآباء والأمهات، بل والمربين أن هناك براً مقابلاً لبر الوالدين وحقوقاً لابد من القيام بها تجاه الأبناء.

ورد في بعض الآثار أن رجلاً جاء إلى عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يشكو سوء معاملة ابنه له، فأمر عمر ـ رضي الله عنه ـ أن يؤتى بالابن، فجيء به، قال له: إن أباك يشكو سوء معاملتك له وقسوتك عليه، فقال له: يا أمير المؤمنين ألا تسأله ماذا فعل بي؟

قال: ماذا فعل بك؟ فقال الابن: لم يحسن اختيار أمي، فاختارها مجوسية، فكنت أعيَّر بها، ولم يحسن تسميتي فسماني جُعْلاً "حشرة تدفع القذر بأنفها" فكان الصبيان يسخرون من اسمي، ولم يحسن تربيتي، فكان يهملني ولا يرفق بي.

فالتفت عمر بن الخطاب إلى الرجل فقال له: يا هذا لقد عققته قبل أن يعقك.

وتنبع أهمية الأبناء من أنهم:

أولاً: زينة الحياة الدنيا: قال تعالى: {المال والبنون زينة الحياة الدنيا} (الكهف: ٤٦)، فهذه الزينة إذا لم تتعاهدها وترعاها ذبلت وذهب بهاؤها.

ثانياً: باب من أبواب الخير: قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ..... ولد صالح يدعو له" رواه البخاري ومسلم، وقال: "من كان له ثلاث بنات أو أخوات، فكفهن وآواهن وزوجهن، دخل الجنة"، قالوا: وابنتان يا رسول الله؟ قال: وابنتان" حتى ظننا أنهم لو قالوا: أو واحدة قال: أو واحدة، وهو مرسل، وعند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من كانت له ثلاث بنات، فأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجاباً من النار"(انظر تحفة المودود)، فصلاح الأبناء وحسن التربية يحتاج إلى عناية خاصة ورعاية فائقة، وفي المقابل قد يكون الأبناء باباً من أبواب الشقاء في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: { **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم (١٤) إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥)** } (التغابن).

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "إن الولد مجبنة مبخلة" صحيح الجامع - ١٩٨٩، وذلك حين يهمل الآباء والمربون هذا الباب ويفرطون في حقوق الأبناء مما ينعكس سلباً على سلوكهم وأخلاقهم.

ولذا اهتم الإسلام بتربية الأبناء وجعلهم مسؤولية الوالدين الأولى كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها...." متفق عليه.

وقال تعالى: { **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦)** } (التحريم).

ومن هذا المنطلق أحببت أن أضع بين يدي القارئ بعض التوجيهات والمبادئ التربوية التي لا يستغني عنها والد أو مرب، وأما الوسائل فهي كثيرة جداً وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال وليس هذا مجال الحديث عنها.

أولاً: تهيئة البيئة الصالحة: يعتقد كثير من الناس أن التربية تبدأ بعد الولادة، أو الإدراك وعلى هذا نشأت النظريات التربوية حتى قال قائل: "لاعب ابنك سبعاً وربه سبعاً وصاحبه سبعاً"، ولكن الإسلام يذهب إلى أبعد من ذلك، خلافاً لما يعتقده الكثير(فهو يهتم بالإنسان في جميع أطوار حياته من حين كونه نطفة إلى مستقره في الجنة أو النار)، لذا فهو يأمر ويحث بتهيئة البيئة واختيار الشريك الصالح القادر على القيام بواجب التربية مع الأب منذ البداية، وذلك باختيار الزوجة الصالحة، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"، رواه البخاري ومسلم، وقال أيضاً، "خير ما يكنز المرء في هذه الدنيا المرأة الصالحة: إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله".

ثانياً: الدعاء عند الجماع: إن النية الصالحة عند المعاشرة والتأدب بآداب الجماع فيه حماية للنطفة من نزغ الشيطان وتسلطه على المولود، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم

جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فإنه إن قضي بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبداً" متفق عليه.

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "ما من مولود يولد ، إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان ، إلا ابن مريم وأمه" متفق عليه.

ثالثاً : القيام بحقوق المولود : كثير من الآباء يتساهل في حقوق المولود عند ولادته إما جهلاً أو كسلاً وهذا خلاف السنة ، وبخاصة للقادر على ذلك من عقيقة وتسمية وحلق للرأس وختان فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"كل غلام رهينة بعقيقته ، يذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق رأسه ويسمى" ص-ج- ٤٥٤.

ويتصدق بوزن شعر المولود ورقاً "أي فضة" والعقيقة تكون عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة كما في رواية أبو داود والترمذي والنسائي (جامع الأصول ٧ -٥٠١)، وقوله صلى الله عليه وسلم : "رهينة" قال أحمد هذا في الشفاعة أي أنه إذا لم يعق عنه فمات طفلاً لم يشفع لوالديه" .

رابعاً : غرس التوحيد والعقيدة الصحيحة : قال تعالى حكاية عن لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه وفلذة كبده : **{ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم }** (لقمان : ١٣).

قال السعدي ـ رحمه الله ـ ٤-١٠٦ ، "ووجه كونه ظلماً عظيماً أنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تراب ، بمالك الرقاب... وسوى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم ، بالذي .... ما بالخلق من نعمة في دينهم ، ودنياهم وأخراهم ، وقلوبهم وأبدانهم ، إلا منه ولا يصرف السوء إلا هو فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟".

فيربي الأبناء على هذه المبادئ العقائدية الصحيحة وعلى مبدأ الولاء والبراء الذي هو أوثق عرى الإيمان كما قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : " أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله" ص-ج ٥٢٣٩.

خامساً: حب الطاعات والعبادات: فينبغي أن يُربى الأبناء منذ صغرهم على الاهتمام بالفرائض كالصلاة والصيام وبر الوالدين وصلة الأرحام وغيرها من الواجبات وبخاصة الصلاة فإن لها أهمية كبيرة في حياة المسلم وهذا هو منهج الأنبياء والصالحين من بعدهم.

قال تعالى: {**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (٥٤) وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا(٥٥)** }.

وقال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم { **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى (١٣٢)** }(طه).

وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع" فإن الأبناء إذا تعودوا على أداء العبادات وحبها في الصغر سهلت عليهم في الكبر.

سادساً: كره المعاصي والمحرمات: إن مبدأ الحلال والحرام في الإسلام ثابت لا يتغير، فلا يمكن أن يتحول الحلال حراماً، أو الحرام حلالاً، لذا لا بد من أن نغرس في نفوس الأبناء كره المعاصي والمحرمات منذ الصغر، فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: "أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له

الرسول صلى الله عليه وسلم: "كخ، كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" رواه مسلم.

قال الإمام النووي: وفي الحديث أن الصبيان يوقون ما يوقاه الكبار وتمنع من تعاطيه وهذا واجب على الولي ٤-١٧٥.

وقال ابن حجر - رحمه الله - وتأديبهم - أي الأطفال - بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم ومن تناول المحرمات وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك (فتح الباري ٣-٣٥٥).

سابعاً: الأخلاق الحميدة: فيربى الأبناء على الأدب ومحاسن الأخلاق كالصدق والأمانة والوفاء والكرم والإيثار والشجاعة في غير تهور والجرأة في قول الحق مع احترام الكبار وتقدير الآخرين، ويحذرهم من الأخلاق الذميمة كالكذب والخيانة وغيرها.... ورد أن عمر بن الخطاب مر بأحد شوارع المدينة المنورة والصبيان يلعبون وفيهم عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه - فلما رأى الصبيان عمر - رضي الله عنه - هربوا هيبة منه إلا عبدالله بن الزبير، فلما دنا منه عمر، قال له: لِمَ لم تهرب مع إخوانك، قال له: يا أمير المؤمنين، إني لم أخطئ فأخاف منك وليست الطريق ضيقة فأوسع لك.... فتعجب عمر - رضي الله عنه - من شجاعته وأدبه ودعا له بخير. إن التأدب بآداب المصطفى ص في التعامل والأكل والشرب والأخذ والعطاء، والدخول والخروج والسلام، والكلام، زينة للأبناء في صغرهم وبركة لهم في كبرهم.

هذه بعض الأخطاء التربوية التي ينبغي للآباء والمربين تجنبها حتى تكتمل مسيرة التربية بعيداً عن أي عقبات أو معوقات.

أولاً: التربية بالقول دون الفعل :

فلابد للمربي حتى يكون مؤثراً في الأبناء من أن يوافق قوله فعله قال تعالى: **{يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (٢) كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (٣)}** (الصف).

ولعل من أظهر الأمثلة في حياتنا ـ وهي كثيرة ـ أن يطرق رجل الباب فيسأل عن الأب ـ فيقول الأب لابنه: قل له أبي غير موجود.. فهذه كذبة. أو تتصل امرأة بالأم فتقول لابنتها: قولي لها: أمي مشغولة وهي غير كذلك.. فهذه أيضاً كذبة. وهذا إما أن يولّد عند الأبناء تناقضاً في الشخصية ، أو تهاوناً بالكذب على الآخرين. ففي سنن أبي داود(٤٩٧٠) عن عبدالله ابن عامر قال: "دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا ، فقال: هاه ، فقالت أعطيك.. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنك لو لم تعطه شيئاً ، كتبت عليك كذبة" ، قال أبوالطيب في عون المعبود ١٣-٣٣٥ (وفي الحديث أن ما يتفوه به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً ، بكلمات هزلاً أو كذباً ، بإعطاء شيء أو بتخويف من شيء ، حرام داخل في الكذب).

قال المنذري في الحديث: مولى عبد الله بن عامر مجهول.

وعند أحمد في المسند ٢-٤٥٢ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة" قال في المجمع من رواية الزهري عن أبي هريرة ولم يسمعه منه.

ثانياً: كثرة الانتقاد لأخطاء الطفل:

وهذا يولد عند الأطفال عدم الثقة في النفس أو بلادة الحس أحياناً، لذا ينبغي للآباء والمربين أن يفرقوا بين الأخطاء الطفولية والأخطاء التربوية، فالكذب خطأ وخلل تربوي ينبغي تصحيحه، وكذلك التعدي والمشاغبة وحب التخريب ونحوها.

أما سقوط الكأس مثلاً من يد الطفل أو كثرة الحركة أو توسيخ الملابس أثناء اللعب ونحوها فأخطاء طفولية يوجَّه فيها الطفل بالرفق واللين، فكم كسرت الأم من كأس أو صحن وهي تغسل الأواني، فهل هذا خطأ فاحش تعاقب عليه؟! ورحم الله الشافعي حينما قال موجهاً المربين لهذه الحقيقة: المؤدب اللبيب.. متغافل رفيق..

ثالثاً: الدعاء على الأبناء:

وبخاصة من الأمهات وقت الغضب.. ولذا يحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله: "لا تدعوا على أنفسكم.. ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء، فيستجاب لكم" رواه مسلم.

ولقد كان الأنبياء والصالحون يدعون الله دائماً بصلاح الأبناء كما قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام:

{رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء (٣٨) } (آل عمران).
وقال على لسان إبراهيم عليه السلام **{ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك}** (البقرة: ١٢٨).

وقال تعالى على لسان الصالحين في دعائهم **{ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى" والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي }** (الأحقاف: ١٥) وقال تعالى: **{ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين}** (الفرقان: ٧٤).

فمن البر بالأبناء الدعاء لهم بالصلاح والهداية، فإن في صلاحهم خيراً لأنفسهم ووالديهم وفي ضلالهم شقاءً لهم جميعاً، نسأل الله أن يصلح لنا ذرياتنا جميعاً، وأن يحبِّب إليهم الإيمان.. ويزيِّنه في قلوبهم، ويكرِّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ويجعلهم من الراشدين.

رابعاً: الجمود في وسائل التربية:

وهذا نابع من حب تقليد الآباء وعدم القدرة أو الرغبة في تطوير الوسائل المناسبة لكل زمان، حتى قال قائلهم: (نربي أبناءنا على ما ربانا عليه أباؤنا) وليس هذا الكلام على إطلاقه.

فلا ينكر أحد تغير الأحوال والبيئة والمفاهيم، فما كان يصلح في السابق قد لا يصلح في هذا الزمان.. فكثرة الضرب مثلاً كانت وسيلة منتشرة في السابق، وقد لا تصلح في هذا الزمان، والتهديد بالطرد من المنزل في الماضي كان كافياً لزجر وردع الأبناء، وأما في زماننا فإن طرد الأبناء من المنزل ـ إلا في أضيق الحدود ـ قد يكون

وسيلة لانحرافٍ أكثر وضلال أشد على الأبناء، وبخاصة مع وجود التجمعات المنحرفة التي تتصيد الشباب لاستغلالهم.. وهكذا.

لذا ينبغي على الآباء والمربين مراعاة الأحوال وتطوير وسائل التربية وعدم الجمود على تقاليد الآباء والأجداد إلا فيما تبين أنه علاج ناجع..

خامسا: ضعف الرقابة والمتابعة:

فبعض الآباء يتعب ويحرص على تربية أبنائه وتوجيههم ولكنه يغفل جانب الرقابة والمتابعة، فلا يعلم متى يخرجون أو يعودون وإلى أين يذهبون ومع من يختلطون؟ ولعل هذا نابع من الثقة الزائدة في سلوك الأبناء، ولكن هذا المبدأ غير صحيح، فكم جرّ مبدأ ضعف الرقابة على الأبناء من ويلات إذا خالطوا من لا تصلح صحبتهم.

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه إن القرين بالمقارن يقتدي ومهما كانت تربية الأبناء فإن للبيئة التي يختلطون بها تأثيراً على سلوكهم فليس من الحكمة أن نزج بأبنائنا في مواطن الشبهات أو أماكن الفساد بحجة صلاح تربيتهم، فإن الهدم أسرع كثيراً من البناء والإفساد أسهل من الإصلاح وبخاصة قبل أن يشتد عودهم، وتقوى مناعتهم..

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء.

فالإسلام دين قائم على مبدأ الوقاية خير من العلاج، لأن المحظور إذا وقع قد يصعب علاجه، أو قد تطول معاناته، وهذان أمران أحدهما مرّ وليس أبناؤنا محلاً للتجارب!!.

العقوق دين لا بد من قضائه في الدنيا قبل الآخرة

إن العقوق دين لا بد من قضائه في الدنيا قبل الآخرة ، فكما تدين تدان ، فإن بذلت البر لوالديك سَخَّرَ الله أبناءك لبرك ، وإن عققت والديك سَلَّط الله أبناءك لعقوقك ، ستجنى ثمرة العقوق في الدنيا قبل الآخرة

ففي الحديث الذي رواه الطبرانى والبخاري في التاريخ وصححه الألباني من حديث أبي بكرة أن النبي قال : ((اثنان يعجلهما الله في الدنيا : البغي وعقوق الوالدين)) .

هذا ابن عاق يعيش معه والده في بيته فكبر الوالد ، و انحنى ظهره ، وسال لعابه ، واختلت أعصابه ، فاشمأزت منه زوجة الابن ، - وكم من الأبناء يرضون الزوجات على حساب طاعة الأمهات والآباء - فطرد الولد أباه من البيت ، فَرَقَّ طفلٌ صغير من أبنائه لجده فقال له : لماذا تطرد جدنا من بيتنا يا أبى ، فقال : حتى لا تتأففون منه ، فبكى الطفل لجده وقال : حسناً يا أبتي، وسوف نصنع بك هذا غداً إن شاء الله ! ! العقوق دَين لابد من قضائه.

وهذا ابن آخر يصفع والده على وجهه ، فيبكى الوالد ويرتفع بكاءه ، فيتألم الناس لبكاء هذا الشيخ الكبير، وينقض مجموعة من الناس على هذا الابن العاق

ليضربوه، فيشير إليهم الوالد ويقول لهم: دعوه. ثم بكى وقال: والله منذ عشرين سنة، وفي نفس هذا المكان صفعت أبي على وجهه !! العقوق دَين لابد من قضائه.

وهـذا ابن ثالث عاق يجر أباه من رجليه ليطرده خارج بيته، وما إن وصل الولـد بأبيه وهو يجره حتى الباب، وإذا بالوالد يبكي ويقول لولده: كفى يا بني، كفى يا بني إلى الباب فقط، فقال: لا بل إلى الشارع، قال: والله ما جررت أبي من رجليه إلا إلى الباب فقط !! كما تدين تدان.

يكفـي أن تعلم أن الله جل وعلا قد قرن بر الوالدين والإحسان إليهما بتوحيده قال تعالى: ((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)) [الإسراء: ٢٣].

قال ابن عباس ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاثة، لا يقبل الله واحدة بدون قرينتها.

أما الأولى فهي قوله تعالى: ((أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)).

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول فلن يقبل منه.

وأما الثانية فهي قول الله: ((وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ))

فمن أقام الصلاة وضيع الزكاة لن يقبل منه.

وأما الثالثة فهي قول الله تعالى: ((أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ)).

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لن يقبل منه.

حياة البر ما أروعها من حياة، إنها حياة السعادة والطمأنينة، إنها حياة الأمن والأمان، يالها من لذة !! فيها ستشعر بانشراح الصدر، ستشعر بالسعادة في كل لحظة، بل سيوسع الله عليك رزقك، بل سيبارك الله لك في عمرك، في حياة بر الوالدين.

"يا أبتِ لا تعبد الشيطان"

قد كانت جهود شباب صدر الإسلام في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، جهود مثمرة ومباركة بين الأهل والعشيرة ومن لهم حق على الإنسان، وإذا تأملنا النماذج الدعوية من حياة ذلك الجيل لاشك أننا سنجد نماذج رائعة في دعوة خاصة، وهي دعوة الوالدين، كما تصور لنا دعوة معاذ بن عمر الجموح لوالده، حيث كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه سيداً من سادات بني سلمة، وشريفاً من أشرافهم، وقد كان اتخذ في داره صنماً من خشب، يقال له: مناة، كما كان الأشراف يصنعون، تتخذه إلهاً تعظمه وتطهره، فلما أسلم فتيان بني سلمة: معاذ بن جبل، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، في فتيان منهم ممّن أسلم وشهد العقبة، كانوا يدلجون [١] بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عِذَر الناس، منكساً على رأسه.

فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم! من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ ثم يغدوا يلتمسه، حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه، ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه. فإذا أمسى ونام عمرو، عدوا عليه، ففعلوا به مثل ذلك، فيغدوا فيجده في مثل ما كان من الأذى، فيغسله، ويطهره، ويطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى، فيفعلون به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث ألقوه يوماً، فغسله وطهره وطيبه، ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن

كان فيك خير فامتنع، فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عمرو، عدوا عليه، فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة، فيها عذر من عذر الناس، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به. فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه، وكلمه من أسلم من رجال قومه، فأسلم برحمة اللّه وحَسن إسلامه، فقال حين أسلم، وعرف من اللّه ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك، وما أبصر من أمره ويشكر اللّه تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنت إلهاً لم تكن

أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لملقاك إلهاً مستدن[٢]

الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن

الواهب الرزاق ديان الدّين[٣]

هو الذي أنقذني من قبل أن

أكون في ظلمة قبر مرتهن[٤]

في هذا الموقف نجد معاذ بن عمرو بن الجموح تصرف بذكاء مع أخيه الشاب معاذ بن جبل، وذلك من أجل تخليص عمرو بن الجموح مما هو فيه من الشرك، وقد

نجحت الخطة وتخلص الوالد مما كان فيه الهلاك، فكان نفع ابنه له أفضل نفع، إذ كان سبب دخوله في دين الله تعالى وترك عبادة الأصنام.

في هذا الموقف درس للشباب الذين يرون المنكر فيمن هو أكبر منهم سناً من والد أو غيره، ولا يستطيعون مواجهتهم به، خشية أو حياء منهم فلابد لهم من أن يتصرفوا في ذلك، وأن يستعينوا بإخوانهم من الشباب لإعانتهم في التخطيط والتنفيذ.

ولنعرض قصة أخرى من قصص ذلك الجيل في دعوة الوالدة، فهذا الفتى طليب بن عمير[٥] رضي الله عنه لما أسلم في دار الأرقم، خرج فدخل على أمه، وهي أروى بنت عبد المطلب، فقال: تبعت محمداً، أو أسلمت لله رب العالمين جل ذكره. فقالت أمه: إن أحق من وازرتَ ومن عاضدتَ ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه، ولذببنا عنه، فقال: يا أماه، وما يمنعك أن تسلمي وتتبعيه، فقد أسلم أخوك حمزة؟ فقالت: انْظُر ما يصنع أخواتي، ثم أكون إحداهن. قال: قلت فإني أسألك بالله إلاّ أتيته فسلمت عليه وصدقته، وشهدت أن لا إله إلا الله، فقالت: فإني أشهد أن لا إله اللّه وأن محمداً رسول الله، وكانت بعد تعضد النبي صلى الله عليه وسلم بلسانها، وتحض أبناءها على نصرته، والقيام بأمره[٦].

ومن المواقف الجميلة في هذا الموضوع دعوة أبي هريرة لأمه، حيث يروي ذلك فيقول: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ،

فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ - وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ - قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا. قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. (أخرجه مسلم).

معشر الشباب، تعلمون عظم بر الوالدين، وأثره على حياة الشاب، ولكن البر ليس مقصوراً على خدمتهما وتلبية حاجاتهما، وطاعة أوامرهما. بل باب البر أوسع من ذلك. ومن أنفع أبواب البر بالوالدين هو دلالتهما على الخير وتحذيرهما من الشر؛ لأن ذلك نفع لهما في دنياهم وأخرهم، كما يجب أن نعلم أن دعوة الوالدين تكون بأسلوب خاص فيه من التقدير والاحترام لهما ما يناسب حالهما، وحقوقهما على الأولاد. فهما بحاجة إلى دعوتهما بلطف معهما وشفقة عليهما.

([١]) الدُّلْجَةُ: سير الليل كله. وأَدْلَجُوا: ساروا من آخر الليل، وادَّلَجُوا ساروا الليل كله. (ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٢٧٢، مادة [دلج]).

([٢]) قال السهيلي: مستدن من السدانة، وهي خدمة البيت وتعظيمه. (انظر: للروض الأنف. الطبعة الأولى، القاهرة، دار النصر، ١٢٢٨هـ، ١٥٤/٤).

([٣]) قد يكون أراد بالدين الأديان، أي هو ديان أهل الأديان، ولكن جمعها على الدين، لأنها ملل ونحل. (المرجع نفسه).

([٤])انظر ابن هشام، السيرة النبوية ٤٥٢/١، ٤٥٣. وابن حجر، الإصابة ٥٢٩/٢. والذهبي سير أعلام النبلاء، ٢٥٣/١، ٢٥٤.

([٥]) طليب بن عمير أو عمر بن وهب بن أبي كثير بن عبد بن قصي بن كلاب.. ذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة فيمن هاجر إلى الحبشة. أسلم في دار الأرقم. وهو أول من أدمى مشركاً في الإسلام بسبب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أنه استشهد بأجنادين. (انظر ابن حجر، الإصابة، ٢٣٣، ٢).

([٦]) أخرجه الحاكم، المستدرك، ٢٣٩/٣. وقال: [صحيح غريب على شرط البخاري ولم يخرجاه].

منسيون – الآباء المسنون

في كل عام من شهر إبريل يختلف ليوم الصحة العالمي، الذي يختار له كل عام شعار معين يحدد أهداف الاحتفال، وتقام العديد من الفعاليات، التي تؤكد على معنى الشعار.

وكان الإسلام سبّاقًا في ذلك، والإسلام أوصى الأبناء بالآباء خيرًا، حتى مع اختلاف الدين، وذلك لتكون العلاقات الإنسانية أكثر ترابطًا وتراحمًا، لا تنتابها الشهوات، ولا تعصف بها الأهواء ولا الأنواء... ومن حقوق الوالدين حال حياتهم. الإحسان إليهما.

لقد أوصى الله سبحانه وتعلى الأبناء بالإحسان إلى الآباء في غير موضع من الكتاب العزيز، وقرن ذلك بتوحيد الله، والنهي علن الشرك، كما قرن شكره بشكرهما لما لهما من مكانة رفيعة.

ومن الآيات الدالة على ذلك، والتي يأمر فيها بالإحسان إلى الوالدين: قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}[الاسراء: ٢٣]. وقال تعالى: {ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [القمان: ١٤].

وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}[البقرة: ٨٣].

بر الوالدين مقدم على الجهاد، فعن أبي سعيد الخدري قال: هاجر رجل من أهل اليمن إلى رسوله الله صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي: »هل لك أحد في اليمن؟ قال: لا. قال فارجع إليهما فاستأذنهما فإن أذناك فجاهد وإلا فبرهما«.

رعاية المسنين

إن المسن يحتاج للرعاية والاهتمام، وخاصة في شيخوخته لاحتمال تغير كثير من سلوكياته وكان الإسلام سباقًا في ذلك، قال تعالى: {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}[النحل: ٧٠]، {ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مَنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً}[الحج: ٥].

ومن هنا فالمسن يحتاج إلى رعاية خاصة، وتغذية معينة تحقق له الصحة، وتعطيه المجال للإنتاج والحيوية.

والإنسان المسن، ليس في حاجة إلى الكثير من ملذات الحياة، وإنما يتركز همه على النواحي العاطفية والنفسية، ومرآة ذلك في الاستماع إليه، وتلبية احتياجاته المعنوية أكثر من المادية.

والملاحظ في السنوات الأخيرة قسوة قلوب بعض الأبناء نحو آبائهم المسنين، وقلة الاهتمام بهم وإهمالهم، بل وعدم احترام أي كلمة تصدر منهم، ووصل الأمر إلى إيداع هؤلاء الآباء والأمهات في مراكز ودور المسنين، والتي هي ليست من العادات الإسلامية، لأن منهج الإسلام حث على الاهتمام بالمسنين من خلال نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وأداء حقوق الوالدين الأدبية والمادية ببرهما في الدنيا ووفاء لهما بعد موتهما ومصاحبتهما بالمعروف والتواضع لهما

والامتثال لأوامرهما ولو كانا مشركين، فقد قرن الله عز وجل حقوق الوالدين بالتوحيد، لأن النشأة الأولى من الله والثانية من الوالدين وهي التربية.

ونتسائل كيف يطاوع قلب الابن أن ينتزع والديه أو أحدهما من بيته، الذي عاش فيه سنوات طويلة ذاق فيه الحلو والمر، ويقذف بهما أو بأحدهما في دور المسنين أو أقسام المستشفيات الخاصة برعاية المسنين.

إن احترام كبار السن داخل الأسرة من تعاليم ديننا الحنيف، وهم كما يقولون بركة البيت وجذور الأسرة، التي لابد من رعايتها حتى تؤدي ما عليها وتنهي مهمتها في الحياة، ويأخذ الله أمانته. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» وليس من التوقير تسليمهم لمأوى العجزة. كما يجب على الأبناء تقدير الوالدين حتى بعد وفاتهما وانتقالهما إلى الرفيق الأعلى، عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: يا رسول الله فقال رجل: يا رسول الله هل بقي من بر والدي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال نعم خصال أربع الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما. إن إيداع الوالدين في دور المسنين جريمة يرتكبها الأبناء في حق هؤلاء الوالدين لا يمكن غفرانها وعقابها شديد عند الله عز وجل، فهي من العقوق، ولا تنسوا أن عقوق الوالدين من السبع الموبقات.

قصص في البر والجحود

القصة الأولى في البر:

شاب عاش مع والدته وحيدًا بعد أن طلقت، وهو في الثانية من عمره، فانكبت عليه تربيه وتعلمه رافضة الزواج مرة أخرى، بالرغم من أنها كانت في ريعان شبابها، وأفنت عمرها في سبيل ذلك حتى نشأ شابًا صالحًا يتفانى في رعاية والدته. أنهى المرحلة الجامعية بتفوق، وابتعث من قبل الدولة لإتمام دراسة الماجستير في بريطانيا، فرفض ذلك الأمر في أوله حتى لا يترك والدته وحيدة، إلا أنها أقنعته بالذهاب، وأنه لا ضير عليها، فذهب، وكان خلال إقامته هناك ٣أعوام يهاتف والدته ٣مرات صباحًا وظهرًا ومساءًا إلى جانب الاتصال بالجيران والأقارب لزيادة الاطمئنان على صحتها، وفي أثناء الإجازات يأتي إليها ويعكف عند قدميها لخدمتها ثم أنهى رسالة الماجستير، مما أهله لدراسة الدكتوراه. وبعد شر من بداية برنامج الدكتوراه جاءه خبر من أحد الجيران أن والدته مريضة، فاستأذن المسؤولين في الجامعة، وعاد إلى والدته، ومكث عندها يمرضها. ولكن فترة مرضها امتدت إلى عامين، وتوفيت بعدها، فقرر أن يعود لإكمال دراسة الدكتوراه، ولكن تبين له أن الوقت قد فات، وأنه لا مجال للعودة بعد هذه الفترة من الانقطاع كما تقضي قوانين الجامعة، ففوض أمره إلى الله ورضي بما قسمه له والتحق للعمل بإحدى الجامعات كمحاضر، وبعد مرور سنوات عديد سمع بقصته عميد الكلية التي يدرس فيها، فتأثر بقصته وأرسله لإكمال دراسة الدكتوراه في جامعات أمريكا، فحصل عليها، وعاد ليعمل بجامعته.

القصة الثانية في البر:

ترويها أم عبد الله، فتقول كان والدي بارًا بوالديه، فبعد وفاة والده أحضر والدته لتقيم معنا في المنزل، كمنا نحترمها جميعًا ونحرص على رعايتها والعناية بها، ولكنها بعد فترة من إقامتها عندنا مرضت مرضًا أقعدها عن الحركة، فحزن والدي لذلك جزنًا شديدًا، وأخذ إجازة من عمله ليلازمها، ويقوم على خدمتها، وطالت مدة مرض جدتي وانتهت إجازة أبي ولم يستطع تجديدها، فعمد إلى التقاعد من عمله بالرغم من أنه لم يكن في سن التقاعد، وكان في قمة وأوج نشاطه، واستمر على ذلك الحال، فهو الذي يقوم بإطعامها ودوائها والحديث معها وتسليتها والحرص على راحتها، وكان لا يفارقها إلا إلى الصلاة حتى اشتد بها المرض ثم ماتت.

قصص في الجحود:

المسن «يحيى» فقد عاش يتيمًا، إذا مات أبوه وهو في الثانية عشرة من عمره، فكفلته أمه، وعملت خادمة لدى الجيران تأتي لابنها بما تيسر من الطعام، ليسد به رمقه، وبالثياب القديمة، ليواري بها عورته، وبالقليل من المال لتؤدي منه أجرة الغرفة التي استأجرتها في دار قديمة، تعبت الأم من العمل في بيوت الجيران، فسقطت مريضة بالدرن الرئوي، ودخلت المستشفى، ثم ساءت حالتها الصحية فماتت، وبقي الابن وحيدًا، وترك مدرسته واضطر إلى العمل في البناء، وأصبح يتقن هذه الحرفة، فتحسنت حالته الاقتصادية، وحينذاك قرر أن يكمل نصف دينه بالزواج، فتقدم إلى معلمه في حرفة البناء طالبًا الزواج من ابنته فوافق. تعاقبت السنون وأصبح يحيى معروفًا بإتقان حرفته وأمانته في عمله، وتكاثر عليه الزبائن

وكان يعمل بجد ومثابرة دون أن يرتاح، ليوفر لزوجته وأولاده حياة مريحة، وحرص على تعليمهم، وكان يقول لزوجته وأولاده: تعبت في حياتي كثيرًا، وأتمنى أن يرتاح أولادي في حياتي وبعد رحيلي، تخرج ولده الأكبر من الجامعة وعمل موظفًا. كان «يحيى» وقتئذ قد قارب الخمسين من عمره، وضعف بدنه، وازدادت أمراضه من طول الكد، وبالرغم من ذلك كان يرغم نفسه على العمل ويؤمل في ابنه خيرًا كثيرًا. تزوج ولده من زميلته الجامعية، التي اشترطت عليه مغادرة بيت أبيه، وأن يستأجر لهيا دارًا مناسبة، ويجهزه بالأثاث الفاخر والفراش الوثيرة والأجهزة الكهربائية، وأن يشتري لها سيارة جديدة. انصاع الولد لأوامر زوجته حتى ناء بأعباء ديون ضخمة، فلجأ إلى والده لمعاونته فعجز عن أسرة بأكملها، ولكن الوالد حاول أن يعاونه بطريقته الخاصة وأسقط ديونه و«يحيى» قد بلغ من العمر ستون سنة ولم يستطع ابنه على رعايته، وحرضته زوجته على رميه خارج المنزل، ولم يكمل الولد أباه حين دخل عليه في الغربة، بل انحنى على فراشه الممزق ولف والده به، ثم سحب الفراش المهلهل سحبًا إلى خارج الغرفة، فملا بكى الوالد وهو يسحبه إلى الشارع انهال عليه ولده ضربًا ورفسًا وركلاً، واستقر الفراش وعليه الوالد المريض في الشارع، والمطر ينهال عليه والولد في داره بجانب المدفأة وزوجته معه تبتسم، وتقدم له الشاي. تجمع المارة حول الفراش المبلل، فلما فتحوه وجدوا أن الرجل قد فارق الحياة، فأبلغوا الشرطة، فحبس الولد وأحيل إلى المحاكم، بتهمة التسبب في قتل والده. وعادت الزوجة مع أولادها إلى أهلها وبقيت الدار خالية من السكان. وقضى الولد في السجن خمس عشرة سنة بعدها صدر عفو عن المسجونين في مناسبة من المناسبات، وقدمت الزوجة برفقة ولدها الأكبر الذي أبح موظفًا إلى السجن لاستقبال زوجها المسجون، وكان ولدها هو الذي يقود السيارة، فلمح الولد أباه

يغادر باب السجن ولمح الوالد زوجته وابنه يجرى نحوهما بدون شعور منه، وأسرع الولد بسيارته نحو والده وبحركة لا إرادية اصطدمت سيارة الولد بالوالد صدمه عنيفة، فسقط الوالد أرضًا، وارتبك الولد، فأراد إيقاف السيارة، وبدلاً من أن يضغط على كابح السيارة ضغط خطأ على مكبس الوقود فانطلقت السيارة، وعبرت على جسد الوالد، فلفظ أنفاسه الأخيرة والدم يتدفق من فمه ورأسه.

ايها الولد:

إن الحديث ذو شجون، وإن ما في خاطري نحوك لم يفذ، وإني لأرجو الله أن يهديك للبر والخير واعلم أ، أحب شيء إلي أود أن يقع منك عاجلاً أن تقلع عن المعاصي، فهي أعظم ما يسوؤني منك، وأن تشرح صدري بإقبالك على طاعة الله، فهي أعظم ما يسرني منك وإن الطاعة لكفيلة على البر بي وبأمك، وأسال الله تعالى أن يحقق لك موعد رسوله صلى الله عليه وسلم، حين قال: (ن سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)رواه أحمد.

حال الإنسان العاق لوالديه

{والذي قال لوالديه أُفٍ لكما أتعِدانني أن أُخرج وقد خلتِ القرونُ من قبلي وهما يستغيثان اللهِ ويْلك ءامن إنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ فيقولُ ما هذا إلا أساطيرُ الأولين(١٧)أولئك الذين حقَّ عليهم القول في أُممٍ قد خلَتْ من قبلهم من الجنِّ والإنس إنهم كانوا خاسرين(١٨)ولكلٍ درجاتٌ مِّما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون(١٩)ويومَ يُعرضُ الذين كفروا على النَّارِ أذهبتُم طيباتِكُم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تُجزون عذاب الهُون بما كنتُم تستكبرون في الأرضِ بغير الحقِّ وبما كنتم تفسُقون(٢٠)}.

سبب النزول:

نزول الآية (١٧):

{والذي قال لوالديه}: أخرج ابن أبي حاتم عن السّدّي قال: نزلت هذه الآية: {والذي قال لوالديه: أُفٍّ لكما} في عبد الرحمن بن أبي بكر قال لأبويه، وكانا قد أسلما، وأبى هو، فكانا يأمرانه بالإسلام، فيرد عليهما، ويكذبهما ويقول: فأين فلان وأين فلان؟ يعني مشايخ قريش ممن قد مات، ثم أسلم بعد، فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: {ولكلٍّ درجات مما عملوا} الآية.

أخرج البخاري من طريق يوسف بن ماهان قال: قال مروان بن الْحَكَم في عبد الرحمن بن أبي بكر: إن هذا الذي أنزل الله فيه: {والذي قال لأبويه: أُفٍّ

لكما} فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، إلا أن الله أنزل عذري.

وقال الحافظ ابن حجر: ونفي عائشة أقوى، وأولى بالقبول.

ولما مثَّل تعالى لحال الإنسان البار بوالديه وما آل إليه حاله من الخير والسعادة، مثَّل لحال الإنسان العاقِّ لوالديه، وما يؤول إليه أمره من الشقاوة والتعاسة فقال {والذي قال لوالديه أُفٍ لكما} أي وأمَّا الولد الفاجر الذي يقول لوالديه إذا دعواه إلى الإيمان أفٍ لكما أي قبحاً لكما على هذه الدعوة {أتعِدانني أن أُخرج وقد خلتِ القرونُ من قبلي}؟ أي أتعدانني أن أُبعث بعد الموت وقد مضت قرونٌ من الناس قبلي ولم يُبعث منهم أحد؟ {وهما يستغيثان اللهِ ويْلك آمن} أي وأبواه يسألان الله أن يغيثه ويهديه للإسلام قائلين له: ويْلك آمنْ بالله وصدِّق بالبعث والنشور وإلاّ هلكت {إنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ} أي وعدُ الله صدقٌ لا خُلف فيه {فيقولُ ما هذا إلا أساطيرُ الأولين} أي فيقول ذلك الشقي: ما هذا الذي تقولان من أمر البعث إلاّ خرافات وأباطيل سطَّرها الأولون في الكتب مما لا أصل له قال تعالى {أُولئك الذين حقَّ عليهم القول} أي أولئك المجرمون هم الذين حقَّ عليهم قول الله بأنهم أهل النار، قال القرطبي: أي وجب عليهم العذاب وهي كلمة الله كما في الحديث (هؤلاء في النار ولا أبالي) {في أُمم قد خلَتْ من قبلهم من الجنِّ والإنس} أي في جملة أمم من أصحاب النار قد مضت قبلهم من الكفرة الفجار من الجن والإنس {إنهم كانوا خاسرين} أي كانوا كافرين لذلك ضاع سعيهم وخسروا آخرتهم، وهو تعليل لدخولهم جهنم، قال الإمام فخر الدين الرازي: قال بعضهم: إن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصّديق قبل إسلامه، والصحيحُ أنه لا يراد بالآية شخص معيَّن، بل المراد منها كل من كان موصوفاً بهذه

الصفة، وهو كل من دعاه أبواه إلى الدين الحقِّ فأباه وأنكره، ويدل عليه أن الله تعالى وصف هذا الذي قال لوالديه {أفٍ لكما} بأنه من الذين حقَّ عليهم القول بالعذاب، ولا شك أن عبد الرحمن آمن وحسن إسلامه وكان من سادات المسلمين فبطل حمل الآية عليه {ولكلٍ درجاتٌ مِّما عملوا} أي لكلٍ من المؤمنين والكافرين مراتب ومنازل بحسب أعمالهم، فمراتب المؤمنين في الجنة عالية، ومراتب الكافرين في جهنم سافلة {وليوفيهم أعمالهم وهم لا يُظلمون} أي وليعطيهم جزاء أعمالهم وافية كاملة، المؤمنون بحسب الدرجات، والكافرون بحسب الدركات، من غير نقصان بالثواب، ولا زيادة في العقاب.

{ويومَ يُعرضُ الذين كفروا على النَّارِ} أي وذكّرهم يا محمد يوم يُكشف الغطاء عن نار جهنم، وتبرز للكافرين فيقرَّبون منها وينظرون إليها {أذْهبتُم طيباتِكُم في حياتكم الدنيا} في الكلام حذف أي ويقال لهم تقريعاً وتوبيخاً أذهبتم طيباتكم أي لقد نلتم وأصبتم لذائذ الدنيا وشهواتها فلم يبق لكم نصيب اليوم في الآخرة، قال أبو حيّان: والطيبات هنا المستلذات من المآكل والمشارب، والملابس والمفارش، والمراكب والمواطئ، وغير ذلك مما يتنعَّم به أهل الرفاهية {واستمتعتم بها} أي وتمتعتم بتلك اللذائذ والطيبات في الدنيا، قال المفسرون: المراد بالآية إنكم لم تؤمنوا حتى تنالوا نعيم الآخرة، بل اشتغلتم بشهوات الدنيا ولذائذها عن الإيمان والطاعة، وأفنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي، وآثرتم الفاني على الباقي، فلم يبق لكم بعد ذلك شيء من النعيم، ولهذا قال بعده {فاليوم تُجزون عذاب الهُون} أي ففي هذا اليوم - يوم الجزاء - تنالون عذاب الذُلِّ والهَوان {بِما كنتُم تسْتكبرون في الأرضِ بغير الحقِّ} أي بسبب استكباركم في الدنيا عن الإيمان وعن الطاعة {وبما كنتم تفْسُقون} أي وبسبب فسقكم وخروجكم عن طاعة الله، وارتكاب الفجور

والآثام، قال الإمام الفخر الرازي: وهذه الآية لا تدل على المنع من التنعم، لأن هذه الآية وردت في حق الكافر، وإنما وبَّخ الله الكافر لأنه يتمتع بالدنيا ولا يؤدي شكر المنعم بطاعته والإيمان به، وأما المؤمن فإنه يؤدي بإيمانه شكر المنعم فلا يوبخ بتمتعه ودليله {قُل منْ حرَّم زينةَ الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق} نعم لا يُنكر أن الاحتراز عن التنعم أولى، وعليه يُحمل قول عمر "لو شئتُ لكنتُ أطيبكم طعاماً، وأحسنكم لباساً، ولكني أستبقي طيباتي لحياتي الآخرة"، وقال في التسهيل: الآية في الكفار بدليل قوله تعالى {ويوم يعرض الذين كفروا} وهي مع ذلك واعظة لأهل التقوى من المؤمنين، لذلك قال عمر لجابر بن عبد الله - وقد رآه اشترى لحماً - أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً جعله في بطنه أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية ممن قال الله فيهم {أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا}!!

بر الوالدين - خاتمة ودعاء

أيها المضيّع لآكد الحقوق ، والمعتاض من برّ الوالدين بالعقوق ، الناسي لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، برُّ الوالدين عليك دين . وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهي تحت أقدام أمك ، حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج ، كابدت على الوضع ما يذيب المهج ، أرضعتك من ثديها لبناً ، وأطارت لأجلك وسناً ، غسَّلت بيمينها عنك الأذى ، آثرتك على نفسها بالغذاء صيرت حجرها لك مهداً ، أنالتك إحساناً ورفداً فإن أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، أطالت الحزن والنحيب ، بذلت مالها للطبيب لو خيرت بين حياتك وحياتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً ، فلما احتاجت عند الكبر إليك جعلتها من أهون الأشياء عليك ، شبعت وهي جائعة رويت وهي ظامئة ، قدّمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان ، قابلت أياديها بالنسيان ، صعب لديك أمرها وهو يسير ، طال عليك عمرها وهو قصير ، هجرتها ومالها بعد الله سواك نصير .

هذا مولاك قد نهاك عن التأفيف ، وعاتبك بعتاب لطيف ، وستعاقب في دنياك بعقوق البنين وفي أخراك بالبعد من رب العالمين يناديك بلسان التوبيخ والتهديد **{ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد}** [الحج : ١٠].

دعـاء :

اللهم يا من لا ملجأ لأحد سواك .. نلجأ إليك .. كلنا يحمل ذنوباً .. أثقلتنا أوزارها .. دنستنا أقذارها .. نخشى أن نلقاك ، ونحن على ذلك . فنكون ممن قلت فيهم وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . نعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا أنت الحي القيوم الذي لا يموت والجن والإنس يموتون .. نسألك توبة عاجلة صادقة وقلباً سليماً.. ومرداً جميلاً غير مخزٍ ولا فاضح .. إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . اللهم نسألك وأنت الرحمن الرحيم أن ترفع عنا بلاء الظلم لأنفسنا .. واقبل توبتنا وأكرم مثوانا ولا تحرمنا من النظر إلى نور وجهك الكريم . في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة .. يوم لا ينفع مال ولاب نون إلا من أتى الله بقلب سليم .. أنت ربنا ورب المستضعفين تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم وغفر الله لي ولمن قرأة آمين .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير القرآن الكريم لابن كثير.

٣- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير.

٤- إتحاف القارئ باختصار فتح الباري.

٥- الرائد : معجم لغوي عصري.

٦- نزهة المتقين / شرح رياض الصالحين.

٧- منهاج المسلم.

٨- الموطأ / مالك بن أنس رضي الله عنه حق الأباء على الأبناء وكتب أخرى.

٩- سنن الترمذي.

١٠- صحيح مسلم.

١١- سنن أبي داود.

١٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل.

١٣- مسند ابن ماجه.

١٤- صحيح البخاري.

فهرس الكتاب